تصوير المخلوقات السمائية في الرسوم الجدارية بكنائس النوبة

نادر الفي ذكرى

مدرس بقسم الارشاد السياحي
كلية السياحة والفنادق - جامعة مدينة السادات

الملخص

يهدف هذا البحث إلي تصنيف الرسوم الجدارية للمخلوقات السمائية في كنائس النوبة والتي رسمت طبقاً لموضوعها. ودراسة العلاقة بين المضمون النصي (الكتابي والكنسي والآبائي) والمضمون التصويري، وذلك للتعرف علي أهم السمات الفنية التي تميز هذا النوع من التصوير في كنائس النوبة وعمل مقارنة بينها وبين الكنائس الأخري في مواقع مختلفة بمصر.
حيث يقوم البحث بالمقارنة مع كنائس ديرية من مناطق متنوعة وفترات زمنية مختلفة، مثل دير الأنبا أرميا بسقارة ودير الأنبا أبوللو بباويط من القرنين السادس والسابع الميلادين، بالإضافة إلي دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الاحمر، وكذلك دير السريان بمنطقة وادي النطرون والتي تحتوي علي طبقات من الرسوم الجداري والتي تنتمي إلي فترات زمنية مختلفة من القرون السابع والثامن والعاشر والثالث عشر الميلادي، وسوف ترتكز المقارنة علي رسوم المخلوقات السمائية في النوبة والمواقع سابقة الذكر.

الكلمات الدالة: تصوير المخلوقات السمائية، الرسوم الجدارية، كنائس النوبة.

مقدمة

تقع النوبة المصرية فى محافظة أسوان بجنوب مصر، ويطلق عليها أرض الذهب، حيث تأتي كلمة نوبة في اللغة المصرية القديمة والقبطية بمعني الذهب، ربما لما كانت تمتلكه من مناجم للذهب منذ الحضارة المصرية القديمة، وتعتبر النوبة من أشهر المعالم السياحية التي تتميز بالأماكن الساحرة، وتمتد على ضفتي نهر النيل أقصى شمال السودان وأقصى جنوب مصر، الأمر الذى انعكس على تراثها الشعبي، وتسمي النوبة حالياً باسم النوبة السفلي (الجزء التابع لمصر)، والنوبة العليا (الجزء التابع للشمال السودان).

تميزت كنائس النوبة بالعديد من الرسوم الجدارية مثل كنيسة عبد الله نرقي "نرجي"(Moorsel and Jecquet, 1975)، كاتدرائية فرس (Michalowski,1974)، كنيسة عبد القادر(Villard, 1957)، كنيسة قصر ابريم (Yewdale Adams, 1996)، وكنيسة معبد وادي السبوع (Henri Gauthier, 1912) ، وغيرها من الكنائس الاثرية الاخري، والتي يرجع تاريخ رسومها إلي الفترة مابين القرن الثامن وحتي القرن الثاني عشر الميلادي.

ومن بين هذه الرسوم تصوير المخلوقات السمائية المتمثلة في الملائكة ورؤساء الملائكة والكاروبيم والساروفيم، والأربعة مخلوقات الغير متجسدة (Grooth, and Van Moorsel, 1978) التي تحيط في الغالب بمشهد السيد المسيح البنطوكراتور (ضابط الكل)، والأربعة وعشرين قسيس، والتي ورد ذكرها في سفر الرؤيا في الإصحاح الرابع والخامس، وأيضاً بعض المناظر الأخري التي جاءت طبقاً لما ورد في السياق الكتابي (لأحداث الكتاب المقدس) مثل أحداث من العهد القديم علي سبيل المثال: الملاك وهو ينقذ الثلاثة فتية من أتون النار، أو أحداث من العهد الجديد مثل منظر ميلاد السيد المسيح. وقد استوحي الرسام مناظر المخلوقات السمائية معتمداً علي المصادر الآبائية (وتشمل كتابات أباء الكنيسة الأوائل) بالإضافة إلي المصادر الكنسية (وتشمل الكتب التي تُستخدم للطقوس والصلوات داخل الكنيسة مثل السنكسار، الدفنار، والصلوات الليتوروجيه).

وظهرت بعض هذه المخلوقات السمائية وهي تقوم بحماية بعض المشاهير وحكام النوبة والشخصيات الملكية والأمراء النوبيين، وتميز ريش بعض ملائكة النوبة بأنه يحمل في بعض الأحيان نفس مظهر ريش الطاووس والذي يتشابه في هيئته باحتوائه علي العيون والتي ربما يربط فيها الفنان تفاصيل النص الكتابي الذي وصف المخلوقات الغير متجسدة وذلك من خلال النص الكتابي التالي: "مملؤة عيوناً من قدام ومن وراء." (سفر الرؤيا : ٤).
وقد تميز فن الجداريات في النوبة بشكل عام بسمات خاصة، وذلك بسبب الاستعانة بفنانين من مناطق ذات نفوذ ديني قوي وهذا أدى بدوره إلى تأثره بالفنون البيزنطية والسورية والقبطية.

تعريف المخلوقات السمائية:

وهي مرتبطة كتابياً بالسماء من مخلوقات لم يكن لها وجود أو ذكر كشخصية من شخصيات الكتاب المقدس أو أباء الكنيسة أو شخصية رهبانية أو شهيد أو قديس فارس .....إلخ)

وتشمل الملائكة وظغماتها "رتب" و تقسم رتب الملائكة إلي تسع رتب طبقاً لأقوال أباء الكنيسة وهي كالآتي: سيرافيم، كاروبيم (شاروبيم)، كراسي (عروش)، أرباب (سيادات أو رئاسات)، أجناد، سلاطين، قوات، رؤساء ملائكة، وملائكة (رؤساء الملائكة، الكاروبيم والساروفيم،....إلخ) (Guilly, 1996) والأربعة مخلوقات الغير متجسدة التي تحيط في الغالب بمشهد السيد المسيح البنطوكراتور (ضابط الكل) (حز١: ٤- ٢٨) والاربعة وعشرين قسيس (سفر الرؤيا: ٤، ٥).
ويركز البحث علي الرسوم الجدارية في كنائس النوبة، والتي تحتوي علي موضوعات تخص تصوير المخلوقات السمائية في مناظر متنوعة ومختلفة في الأماكن التالية في النوبة.

١– كنيسة عبد الله نرقي "ترجي":

تقع هذه الكنيسة علي الضفة الغربية لنهر النيل علي بعد حوالي ٣,٥ كم شرق معبد أبو سمبل، حيث قامت بعثة المتحف الوطني الهولندي للآثار بعمل اكتشافات وحفريات في هذه المنطقة، خلال الفترة ما بين عامي ١٩٦٢ – ١٩٦٤م، وذلك بالتعاون مع هيئة الآثار المصرية وإشراف منظمة اليونسكو (Moorsel and JECQUET, 1975)، حيث تم أكتشاف رسوم جدارية علي ارتفاع حوالي ثلاث أمتار من جدرانها، والتي كانت مغطاة بالرمال التي حفظتها باقية حتي وقت اكتشافها.

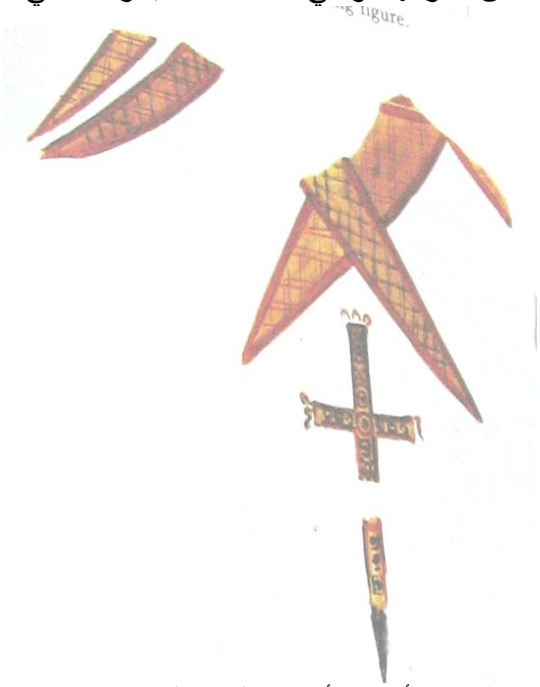

منظر رقم (١) أجنحة الأربعة مخلوقات الغير متجسدة متقاطعة تعلو صليب، بقايا كنيسة عبد الله نرقي المركزية بالنوبة نقلاً عن:
(Moorsel and Jecquet, 1975) pl. 57

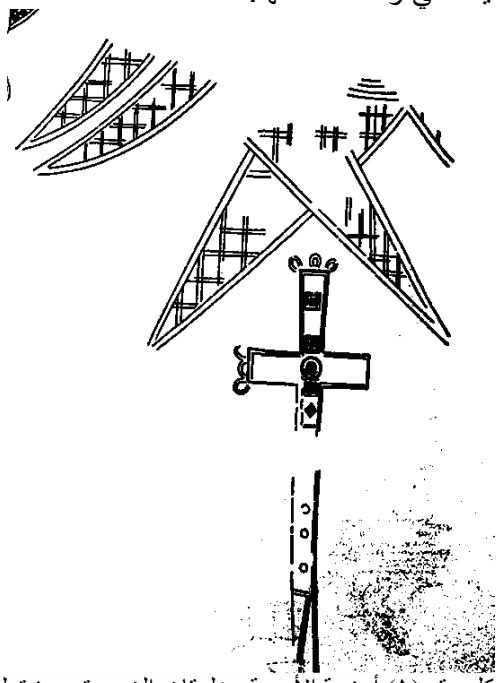

شكل رقم (١) أجنحة الأربعة مخلوقات الغير متجسدة تعلو صليب، بقايا كنيسة عبد الله نرقي المركزية بالنوبة نقلاً عن:
(Moorsel and Jecquet, 1975) pl. 5/2 1:8.

رقم المنظر	١
التاريخ	القرن الحادي عشر الميلادي
المصدر	كنيسة عبد الله نرقي "نرجي"/ النوبة
الوصف	التصوير يمثل الجزء السفلي لأجنحة الأربعة مخلوقات الغير متجسدة، والمرسومة بخطوط متقاطعة أفقياً ورأسياً، والجزء العلوي من التصوير مفقود، ولكن بمقارنة رسوم أخري تحمل نفس الموضوع، نستطيع أن نتوقع أن يكون المشهد في مجمله يشمل السيد المسيح ممثلاً في الوسط ومحاط بالأربعة مخلوقات (الثور، الأسد، النسر، الشكل الآدمي). أما الجزء السفلي من المنظر يصور صليب مزين بزخارف تحاكي ترصيع وتطعيم الأحجار الكريمة، ويشبه الصلبان المزخرفة المنتشرة في منطقة كيليا (Miquel, et-al, 1993) المندثرة، والتي تقع شمال منطقة نتريا ووادي النطرون في الصحراء الغربية، ومن الملاحظ في تصوير الصليب في الفن القبطي وخاصةً الرسوم الجدارية القبطية، أن الصليب يظهر بدون السيد المسيح المصلوب عارياً أو مهاناً أو متألماً، وإنما جاء التصوير قاصراً علي الكفن فقط، ربما رمزية عن القيامة، بينما ظهر المسيح مصلوباً علي الأيقونات اليونانية والبيزنطية القادمة من منطقة اليونان والقسطنطينية وقبرص وفنيسيا والإمارات الصليبية، والتي كانت شائعة خلال القرون الوسطي، فهذا المشهد مألوفاً في الغرب وانتقل إلي الشرق كتأثير غربي.
المراجع	(Moorsel and Jecquet, 1975), pl. 57, fig. 5/2 1:8.

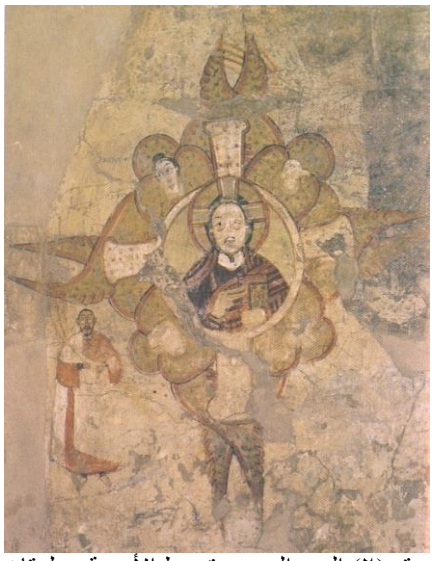

منظر رقم (٢) السيد المسيح يتوسط الأربعة مخلوقات الغير متجسدة متقاطعة تعلو صليب، بقايا كنيسة عبد الله نرقي المركزية بالنوبة نقلاً عن:
(Moorsel and Jecquet, 1975) fig. 6/4.

شكل رقم (٢) السيد المسيح يتوسط الأربعة مخلوقات الغير متجسدة متقاطعة تعلو صليب، بقايا كنيسة عبد الله نرقي المركزية بالنوبة نقلاً عن:
(Moorsel and Jecquet, 1975) fig. 1:16.

رقم المنظر	٢
التاريخ	القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي
المصدر	كنيسة عبد الله نرقي "نرجي"/ النوبة، ومحفوظ حالياً بمتحف النوبة بأسوان / رقم السجل ١١٤٩٥.
الوصف	يصور السيد المسيح في هيئة نصفية داخل *المندورلا* (mondorla) الشكل اللوزي وهو يحمل الكتاب المقدس بذراعه الأيسر، ويشير بعلامة البركة بيده اليمنى، وحول رأسه هالة، ويحاط بالمخلوقات الأربعة الغير متجسدة (الثور، الأسد، النسر، الشكل الآدمي)، ممثلة بأجنحة صفراء وممتلئة بالعيون.
المراجع	(Moorsel and Jecquet, 1975), p. 72, fig. 6/4 1:16.

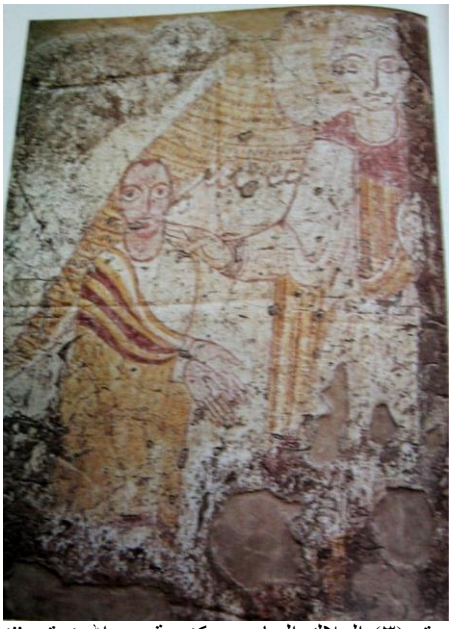

منظر رقم (٣) الملاك الحارس، كنيسة عبد الله نرقي "نرجي" نقلاً عن
(Moorsel and Jecquet, 1975) fig. 6/7.

شكل رقم (٣) الملاك الحارس، كنيسة عبد الله نرقي نقلاً عن
(Moorsel and Jecquet, 1975) fig. 1:10.

رقم المنظر	٣
التاريخ	القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي
المصدر	كنيسة عبد الله نرقي "نرجي"/ النوبة، ومحفوظ حالياً بمتحف النوبة بأسوان / رقم السجل ١١٤٩٥.
الوصف	يصور ملاك رأسه محاطة بالهالة، وهو يضع يده اليمني علي كتف أحد الأشخاص والذي ربما يكون شخصية عادية تستمد الحماية من وضعية الملاك، ويظهر جناح الملاك مزين بخطوط أفقية وشُرط رأسية.
المراجع	(Moorsel and Jecquet, 1975)، p. 75, pl. 70, fig 6/7, 1:10. (كامل، نجيب، ٢٠٠٣) ، ص ٢٣٦ – ٢٤٠.

منظر رقم (٤) الملاك الفارس الكنيسة الرئيسية عبد الله نرقي "نرجي"
نقلاً عن(Moorsel and Jecquet, 1975), pl. 99.

شكل رقم (٤) الملاك الفارس - كنيسة عبد الله نرقي "نرجي" نقلاً عن
(Moorsel and Jecquet, 1975), fig. 6/1 1:12.

رقم المنظر	٤
التاريخ	القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي
المصدر	كنيسة عبد الله نرقي "نرجي"/ النوبة، ومحفوظ حالياً بمتحف النوبة بأسوان / رقم السجل ١١٤٩٥.
الوصف	يصور الفنان الملاك وهو يمتطي صهوة جواده، وممسكاً بشيء غير واضح في يده اليمني، ربما سيفاً، ناشراً جناحيه المزخرفة بدوائر بيضاء اللون، والتي تشبه العيون البشرية، وهذا المشهد من المناظر النادرة والغير شائعة في الفن القبطي، والتي تشبه المنظر النمطي المتكرر لهيئة القديس الفارس.
المراجع	(Moorsel and Jecquet, 1975) pl. 99, fig. 6/1 1:12.

٢- كاتدرائية فرس

فرس: وهي معروفة في العصور القديمة بإسم باخورس Pachoras وحرفت إلي فرس، وتقع فرس علي الحدود الشمالية للسودان. ومنذ ذلك الحين انتسب كل شطر منها إلي الدولة التي تتبعها (مصر والسودان)، وكانت تمثل أكبر المدن الرئيسية للنوبة السفلي في العصر الحديث بمصر، وموقع هذه المدينة غمرت بمياه الفيضان بسبب بحيرة ناصر في عام ١٩٦٠م، وقبل هذا الفيضان قامت البعثة البولندية للآثار بعمل حفائر واكتشافات أثرية عديدة بهذا الموقع ومنها كنيسة فرس التي أعاد بناءها إلياس مطران فرس بأسلوب جديد وميزته الرئيسية القبب بدل السقف المسطح وأغلب الرسوم الجدارية المكتشفة محفوظة في المتحف القومي السودانى وقد تم أنشاء الكاتدرائية حوالي ٩٥٢م، (Michalowski,1974).

تسمي اللوحات الجدارية في كاتدرائية فرس "معجزات فرس" من قبل علماء الآثار البولندية الذين اكتشفوا هذه الكنوز خلال مهمة الإنقاذ الأثرية، حيث هدد ارتفاع منسوب المياه في سد "أسوم" Assuam إلى غمر العديد من المباني العتيقة التي تقع على ضفاف النهر بين الشلال الأول والثاني. لكن التعاون الدولي تحت رعاية هيئة اليونسكو كان قادراً على حماية بعض المباني الهامة التي غُمرت بالمياه (Michalowski,1974).

منظر رقم (٥) رئيس الملاك ميخائيل والملاك غبريال، كاتدرائية فرس، والمحفوظة حالياً بالمتحف القومي بوارسو نقلاً عن (Michalowski, 1974), pl. 7, 8

رقم المنظر	٥
التاريخ	بداية القرن الثامن الميلادي
المصدر	علي جانبي المدخل الغربي لكاتدرائية فرس، والمحفوظة حالياً بالمتحف القومي بوارسو/ رقم سجل.MN 234038 and MN 234052 Nos
الوصف	اثنين من رؤساء الملائكة ميخائيل وغبريال، مصورين برداء بنفسجي طويل ذو أهدب مزينة، وعلي ملابسهم أوشحة طويلة تتدلي علي الكتف الشمال وبه زخرفة دوائر ومستطيلات صغيرة. في أيديهم اليسرى دائرة أو ما يسمي جلوب glob، أما في اليد اليمني فنجد إحداهما ممسكاً بوقاً والآخر يحمل سيفاً. كون الجناح الأيسر للملاك ميخائيل والأيمن لغبريال هيئة المدخل، والذي ربما استخدمه الفنان كنوع من الإشارة الرمزية إلي الحماية السمائية لمدخل الكنيسة، وتناثرت العيون السوداء علي سطح الأجنحة. أظهر الفنان تفاصيل ملامح الوجه متمثلة في العيون الواسعة والأنف المستقيمة، بينما حول تسريحة الشعر المتمثلة في كتلة أعلي الرأس لتتشابه قليلاً مع شكل التاج، وهو ما كان سائداً في الفن النوبي وخاصة مع أشكال الملائكة علي وجه التحديد. والنص أعلي المناظر باللغة القبطية: ⲫⲁⲃⲣⲓⲏⲗ(رئيس الملائكة)غبريال ⲙⲓⲭⲁⲏⲗ(رئيس الملائكة) ميخائيل
المراجع	(Michalowski, 1974), p. 95, 96.

منظر رقم (٦) رئيس الملاك ميخائيل، كاتدرائية فرس، والمحفوظة حالياً بالمتحف القومي بوارسو نقلاً عن:
(Michalowski, 1974), pl. 9.

رقم المنظر	٦
التاريخ	بداية القرن الثامن الميلادي
المصدر	عثر عليها بجانب الدرج، ناحية الحائط الغربي علي ارتفاع حوالي ٢,٣٠ متر، لكاتدرائية فرس، والمحفوظة حالياً بالمتحف القومي بوارسو/ رقم سجل No 234043 MN.
الوصف	يظهر وجه رئيس الملائكة بهيئة أمامية بلون يميل للبنفسجي. الأنف طويلة ومظللة بينما العيون واسعة مفتوحة مع قزحية العين الكبيرة، ويبدو أن وشاح أصفر اللون يتدلي من كتفه الأيسر، بينما تسريحة الشعر مموجة وظهرت في كتلة أعلي الرأس لتتشابه قليلاً مع شكل التاج. وهناك نص أعلي المنظر باللغة القبطية: ⲅⲁⲃⲣⲓⲏⲗ(رئيس الملائكة)غبريال ⲙⲓⲭⲁⲏⲗ(رئيس الملائكة) ميخائيل
المراجع	(Michalowski, 1974), p. 101.

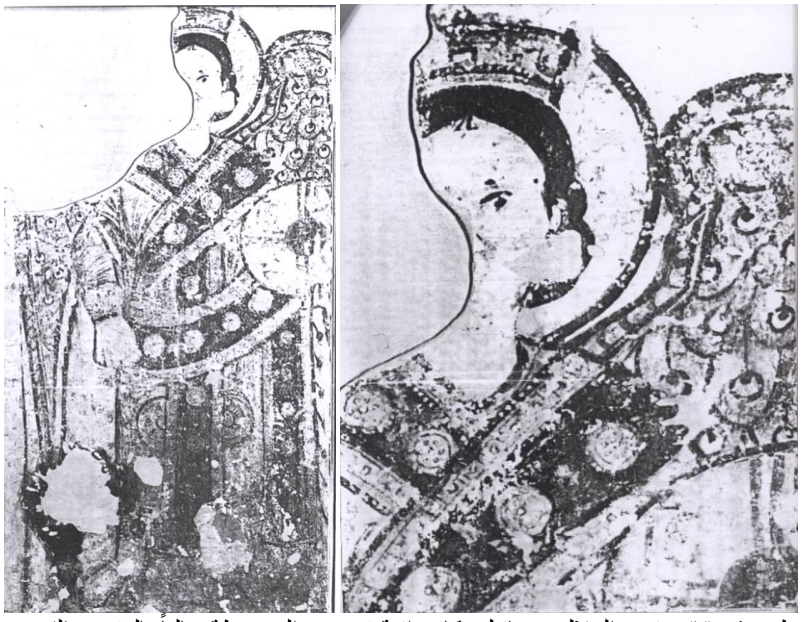

منظر رقم (٧) رئيس الملاك ميخائيل، كاتدرائية فرس، والمحفوظة حالياً بالمتحف القومي بوارسو نقلاً عن:
(Michalowski, 1974), pl. 17

رقم المنظر	٧
التاريخ	النصف الأول من القرن التاسع الميلادي
المصدر	تقع علي جانب الدرج، ناحية الحائط الغربي علي ارتفاع حوالي ١,٤٥ متر، لكاتدرائية فرس، والمحفوظة حالياً بالمتحف القومي بوارسو/ رقم سجل No 234044 MN.
الوصف	رسم الملاك في وضعية مواجهة وثابتة، مرتدياً رداء طويل يطلق عليه باللغة اليونانية stichoron، وعلي ملابسه يتدلي وشاح مزين بزخرفة دوائر تحاكي الأحجار الكريمة، ويمسك في يده اليمن رمحاً طويلاً، بينما اليسري بها قرص أبيض (جلوب glob) به علامة الصليب وبداخلها اختصار باللغة القبطية لكلمتين يسوع المسيح (ⲓⲥ ⲭⲥ) . وتناثرت العيون البشرية علي سطح الأجنحة بخطوط محاكاة لريش الطاووس. والنص أعلي المناظر Ⲙⲓⲭⲁⲏⲗ(رئيس الملائكة) ميخائيل
المراجع	(Michalowski, 1974), p. 122.

منظر رقم (٨) رئيس الملاك ميخائيل، كاتدرائية فرس، والمحفوظة حالياً بالمتحف القومي بوارسو نقلاً عن:
(Michalowski, 1974), pl. 32.

رقم المنظر	٨
التاريخ	القرن العاشر الميلادي
المصدر	تقع علي جانب الدرج، الحائط الغربي علي ارتفاع حوالي ٣,١٠ متر، لكاتدرائية فرس، والمحفوظة حالياً بالمتحف القومي بوارسو/ رقم سجل .No 234042 MN
الوصف	لم يتبقي إلا الجزء العلوي من هذا المنظر، حيث هناك تدمير طفيف ناحية الجناح الأيسر، ويصور الرسم الجداري رئيس الملائكة ميخائيل حيث يرتدي رداء أصفر مزين بخطوط متقاطعة حمراء اللون، وزُينت الخطوط المتقاطعة بدوائر تشبه الأحجار الكريمة المرصعة، وينشر الملاك جناحيه المزخرف بخطوط أفقية يتخللها علامات أفقية مزدوجة صغيرة. وجاء وجه الملاك بيضاوي، والتاج مثلث الشكل على رأسه ومزين بالرسوم المستطيلة والمستديرة، التي تحاكي الأحجار الكريمة.
المراجع	(Michalowski, 1974), p. 168

منظر رقم (٩)رئيس الملاك ميخائيل، كاتدرائية فرس، والمحفوظة حالياً بالمتحف القومي بوارسو نقلاً عن:
(Michalowski, 1974), pl. 46.

منظر رقم (١٠) تفاصيل رئيس الملاك ميخائيل، كاتدرائية فرس، المتحف القومي بوارسوحالياً نقلاً عن:
(Michalowski, 1974) pl. 41.

رقم المنظر	٩، ١٠
التاريخ	القرن العاشر الميلادي
المصدر	الحائط الداخلي للكنيسة علي يسار المدخل الجنوبي علي أرتفاع حوالي ١.٤٠ متر، لكاتدرائية فرس، والمحفوظة حالياً بالمتحف القومي بوارسو/ رقم سجل No 149671 MN.
الوصف	رئيس الملائكة ميخائيل يرتدي رداء أبيض طويل ومزين وفوقه عباءة، ووشاح يحمل اللونين الأحمر والأخضر ويتدلي علي الجانب الأيسر في هيئة ثنيات نصف دائرية. ويمسك بيده سيفاً طويلاً داخل غمده، ولم يحمل هنا رمح كما كان معتاد في رسوم أخري. فوق رأس الملاك كتابة باللغة القبطية كالتالي: Archangel) ⲡⲭⲁⲣⲁⲥⲥⲉⲗⲟⲥ
المراجع	(Michalowski, 1974), p. 196; (Godlewski, 1992), p. 104-105.

منظر رقم (١١) من كاتدرائية فرس نقلاً عن
(K. Michalowski 1974, pl. 35).

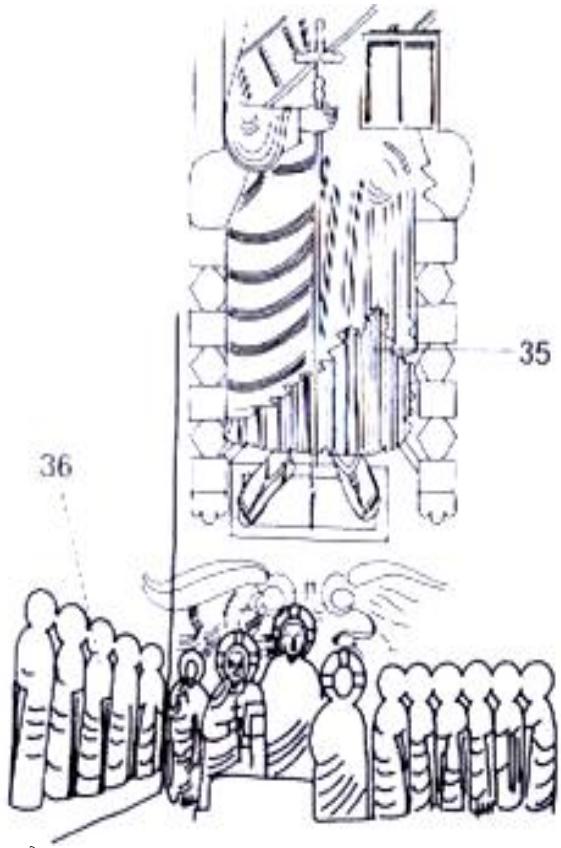

شكل رقم (٥) لتفاصيل التصوير الجداري بكاتدرائية فرس نقلاً عن
(K. Michalowski 1974, pl. 35).

رقم المنظر	١١
التاريخ	بداية القرن الحادي عشر الميلادي
المصدر	الجناح الجنوبي، ناحية الحائط الشرقي، كاتدرائية فرس، والمحفوظة حالياً بالمتحف القومي بوارسو/ رقم سجل No 234026 MN, 234027 MN, 234028 MN.
الوصف	الجزء العلوي من التصوير يحتوي علي منظر السيد المسيح جالساً علي العرش، وهو ما يطلق علية منظر البنطوكراتور وهي كلمة باللغة اليونانية معناها ضابط الكل، أي الجالس بكل بهاء وإجلال علي العرش، وهو مرتدياً ثوباً أبيض اللون ومخطط باللونين الأحمر والأصفر، ومزخرف بصفوف من النقاط الحمراء والخضراء بين الخطوط، والتي تُكون أشكال الصليب من خلال تقاطع الخطوط الطولية والعرضية معاً. الرداء مزين بالعيون والتي تصور دائماً داخل أجنحة الأربعة مخلوقات الغير متجسدة، وكأن الفنان أراد استبدال الأجنحة بطيات الملابس، وأسفل العرش رسم الفنان اثنان من الملائكة الطائران، واللذان يحيطان بثلاث مناظر آدمية بهيئة متواجهة ومن الجانبين يظهر اثني عشر شخصاً، والذي من المحتمل أن تكون إشارة لحواريين السيد المسيح الاثني عشر.
المراجع	(Michalowski, 1974), p. 168.

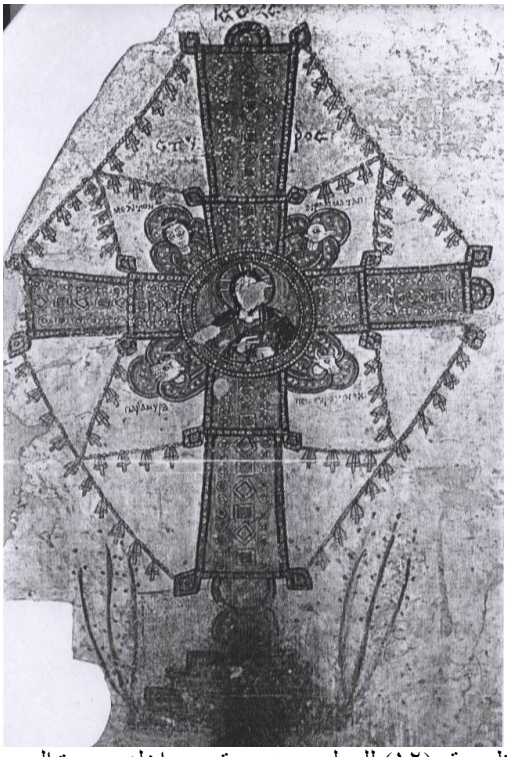

منظر رقم (١٢) للصليب وهو يحتوي بداخله صورة السيد المسيح ومحاط بالأربعة مخلوفات الغير متجسدة، وتصوير الأجراس علي سلاسل
بكاتدرائية فرس بالنوبة نقلاً عن
(Michalowski, 1974), pl. 54.

منظر رقم (١٣) تفاصيل المشهد السابق بكاتدرائية فرس بالنوبة نقلاً عن
(Michalowski, 1974), pl. 54.

رقم المنظر	١٢، ١٣.
التاريخ	بداية القرن الحادي عشر الميلادي
المصدر	الصالة المستعرضة الشمالية، الحائط الغربي، لكاتدرائية فرس، والمحفوظة حالياً بالمتحف القومي بوارسو/ رقم سجل.No 234018 MN
الوصف	ويزين الصليب بزخارف تحاكي صفوف من الأحجار الكريمة والشبه كريمة لونها أخضر وأحمر، وفي وسط الصليب السيد المسيح ممثل بهيئة نصفية في إطار أصفر، ويحمل السيد المسيح الكتاب المقدس، ويمسه باثنين من أصابع يده اليمنى. الصليب محاطاً بالمخلوقات الأربعة بالأجنحة الصفراء في ثلاثة حدود، وهما الأحمر والأبيض والأسود. وتظهر الرؤوس الأربعة في أربعة هيئات مختلفة (الثور والوجه الآدمي، والنسر والأسد) فوق الصليب: ⲓⲥ ⲭⲥ والتي تعتبر كلمتين مختصرتين وتعني يسوع المسيح. وهناك كلمة أخري تم تقسيمها إلي جزئين إحداهما قبل الزراع العلوي للصليبⲥⲧⲁⲩⲣوبعدهⲣⲟⲥ والتي في مجملها تصبح) (ⲥⲧⲁⲩⲣ-ⲣⲟⲥوتعني صليب وتصاحب الأشكال الأربعة للمخلوقات كلمات بحروف قبطية ولكنها باللغة النوبية: ⲙⲉⲗⲓⲧⲱⲛأمام الرأس الآدمية (يشير إلي إنجيل القديس متي) ⲁⲥⲣⲁⲙⲙⲁⲧⲁⲡ أمام رأس النسر (يشير إلي إنجيل القديس يوحنا متي)

	Παραμηρα أمام رأس الأسد (يشير إلي إنجيل القديس مرقس) Πειοστροτειον أمام رأس الثور (يشير إلي إنجيل القديس لوقا)
المراجع	(Michalowski, 1974), p. 234, 235.

منظر رقم (١٤) ميلاد السيد المسيح، كاتدرائية فرس، والمحفوظة حالياً بالمتحف القومي بوارسو نقلاً عن:
(محمد غيطاس،١٩٩٥،شكل٤٠)

رقم المنظر	١٤
التاريخ	بداية القرن الحادي عشر الميلادي
المصدر	كاتدرائية فرس بالنوبة.
الوصف	السيدةالعذراء مريم تتكأ على سرير بجوار السيد المسيح كطفل، ومحاطة بخمسة من الملائكة، اثنين وراء ظهرها، وثلاثة أمامها. ويتمثلوا بهالات حول وجوههم. وعلي روؤسهم تيجان، وممسكين بأياديهم رماح طويلة تنتهي بعلامة الصليب في الجزء العلوي منها. بينما تنحني الأجنحة برشاقة فوق أكتافهم إلي أسفل أقدامهم.
المراجع	(غيطاس، ١٩٩٥)، شكل ٤٠.

منظر رقم (١٥) الملاك المنقذ للثلاثة فتية العبرانين من آتون النار نقلاً عن:
(http://www.arkamani.org/photos/christian_nubia/archangel%20michel-faras.jpg)

رقم المنظر	١٥
التاريخ	القرن الحادي عشر الميلادي
المصدر	كاتدرائية فرس بالنوبة، ومحفوظ حالياً بمتحف السودان القومي بالخرطوم.
الوصف	يظهرالملاك وحول رأسه هالة، ويقف في وسط ثلاثة أشخاص وهم المعروفين بإسم الثلاث فتية العبرانين، والذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدس العهد القديم (دانيال٣)

	والذين كانوا في السبي البابلي *Babylonian Exile* وهي فترة في التاريخ اليهودي تم فيه أسر اليهود.علي يد نبوخذ نصر في بابل في العراق القديمة حيث قام نبوخذ نصر بأسر اليهود مرتين؛ مرة في عام٥٩٧ ق.م.، والمرة الثانية في عام ٥٨٦ ق.م، (متي المسكين، ٢٠٠٧م) وكان الثلاث فتية علي الأرجح خلال السبي الأول في عهد الملك نبوخذ نصر، وقد أمر الملك بإلقائهم في أتون مُحمي بالنار، ولكن يأتي ينقذهم الملاك، ويظهر الملاك وهو يحمل عصا طويلة بيديه تنتهي بعلامة الصليب ويرتدي سترة بيضاء وعباءة صفراء، ونلاحظ أن الثلاثة فتية يرفعون أيديهم في بادرة للصلاة بينما يقف وسطهم الملاك، وقد رسمت الخلفية في لهيب النار.أحمر اللون، وزخرف الفنان الأجنحة منمقة بريش الطاووس.
المراجع	(غيطاس، ١٩٩٥)، شكل ٤٠. http://www.arkamani.org/photos/christian_nubia/archangel%20michel-faras.jpg

منظر رقم (١٦)الملاك الحارس أو الحامي، كاتدرائية فرس، ومحفوظ حالياً بمتحف السودان القومي بالخرطوم نقلاً عن: (غيطاس،١٩٩٥)، شكل٢٧.

المنظر	١٦
التاريخ	القرن الثالث عشر الميلادي
المصدر	كاتدرائية فرس بالنوبة، ومحفوظ حالياً بمتحف السودان القومي بالخرطوم
الوصف	المنظر يوضح الملاك كحارس وحامي لشخص غير معروف، وممثل أمام الملاك بهيئة مواجهة ووضعية ثابتة، ونلاحظ زخرفة ريش النعام لأجنحة الملاك. عيون واسعة وجبهة ضيقة وذقن رقيقة، لذا يبدو الوجه طويلاً، وأنف بارزة وفم صغير.
المراجع	(غيطاس، ١٩٩٥)، شكل ٢٧.

٣- كنيسة عبد القادر

تقع هذه الكنيسة بالقرب من وادي حلفا بالتحديد في أقصى شمال السودان، ويعود تاريخ المدينة إلى أكثر من ٧ آلاف سنة قبل الميلاد، لكن المدينة أغرقتها مياه بحيرة السد العالي عام ١٩٦٤م، وأغلب رسومها يرجع تاريخها إلي القرن الثالث عشر الميلادي.

منظر رقم (١٧) الملاك المنقذ للثلاثة فتية العبرانين من آتون النار نقلاً عن، كنيسة عبد القادر، نقلاً عن
(Badawy, 1949), fig. 37.

شكل رقم (٦) الملاك المنقذ للثلاثة فتية العبرانين من آتون النار نقلاً عن، كنيسة عبد القادر، نقلاً عن
(Villard, 1935-57), pl. CXXVIII

رقم المنظر	١٧
التاريخ	القرن الثالث عشر الميلادي
المصدر	كنيسة عبد القادر، بالنوبة.
الوصف	يظهرالملاك وحول رأسه هالة، ويقف خلف ثلاثة أشخاص وهم المعروفين بإسم الثلاث فتية العبرانين، والذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدس العهد القديم (دانيال٣) ويظهر الملاك بحجم أكبر نسبياً من الثلاث فتية، وهو يحمل عصا طويلة بيديه ويرتدي سترة بيضاء وعباءة، ونلاحظ أن الثلاثة فتية يرفعون أيديهم في بادرة للصلاة بينما يقف وراءهم الملاك، وقد رسمت الخلفية في لهيب النار.
المراجع	(Badawy, 1949), p.51, fig. 37; (Villard, 1935-57), pl. CLXXVIII; (Badawy. 1968), p. 270.

٤– كنيسة معبد وادي السبوع

وقد تم بناء معبد وادي السبوع علي بعد حوالي ١٤٠ كيلومترا (٨٥ ميلا) إلى الجنوب من السد العالي في أسوان في النوبة القديمة وعلى الضفة الغربية من النيل، ومعبد وادي السبوع هو ضمن معبدين تم تشييدهما في عصر الدولة الحديثة خلال الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر، ومعبد وادي السبوع بناه الملك رمسيس الثاني، وعادة ما يشار إليها الآن باسم معبد وادي السبوع، ولكن في الأصل المعروف باسم " بيت المعبود آمون" (Henri Gauthier, 1912).

منظر رقم (١٨) رئيس الملائكة ميخائيل، كنيسة معبد وادي السبوع، النوبة نقلاً عن (كامل، ٢٠٠٣) منظر ٣٦.

رقم المنظر	١٨
التاريخ	القرن الثامن الميلادي
المصدر	كنيسة بمعبد وادي السبوع، بالنوبة.
الوصف	صور الفنان رئيس الملائكة ميخائيل داخل دائرة محددة بثلاث خطوط حمراء وهالة حول رأسه، ويرتدي تاج علي رأسه، ورداءه مزخرف بدوائر حمراء صغيرة، وأجنحته مزينة بخطوط بسيطة متقاطعة. ويظهر شخص خارج دائرة الملاك ربما تم تصويره بجواره لكي ما يستمد من هيئته الحماية والدعم السمائي.
المراجع	(Henri Gauthier, 1912) (كامل، ٢٠٠٣)، ص ٢٢٢.

عناصر مميزة للمخلوقات السمائية في الرسوم الجدارية النوبية:

تتشابه ثنايات ملابس السيد المسيح منظر رقم (١١)، شكل رقم (٥) كاتدرائية فرس، بداية القرن الحادي عشر مع أجنحة المخلوقات الغير متجسدة بالإضافة إلي امتلائها بالعيون، والتي ربما من خلالها أراد الفنان الجمع بين الكائنات الغير متجسدة وملابس السيد المسيح، وكأن السيد المسيح متسربل بهذه المخلوقات السمائية.

لم تظهر الملائكة في جداريات النوبة في وضعية مُحلقة في السماء كما هو معتاد ولكن جاءت متأثرة بهيئة رؤساء الملائكة في وضعية السكون والوقوف، ممسكين في أيديهم حربة، وترمز الحربة التي يمسكها الملاك أو رؤساء الملائكة عن أحد ألقابهم كجنود الله السمائية، (CLEMENT, 1898) (ROSBY, 1890) طويلة تنتهي برمز الصليب في الجزء الأعلي.

وتتميز رسوم القرن الثامن بالنوبة- منظر رقم (٥، ٦)، كاتدرائية فرس، بداية القرن الثامن الميلادي (وخاصاً في رسوم الملائكة) ببعض العناصر، حيث لا يوجد تيجان أعلي رؤوسهم، وإنما قام الفنان باستبدال التاج بتسريحة شعر تقترب في الهيئة من شكل التاج، وتميزت الأجنحة بهيئة تشبه أجنحة النسور ولكن بدون ريش الطاووس في الأجنحة. ومنذ بداية القرن التاسع منظر رقم (٧)، كاتدرائية فرس، بدأ يظهر التاج الصريح أعلي رؤوس الملائكة وريش الطاووس علي الأجنحة.

ونلاحظ في الرسوم الجدارية مشهد الأربعة مخلوقات الغيرة متجسدة، أي التي لا تحمل في هيئتها جسداً كاملاً، "Incorporeal living creatures " وإنما الوجه فقط، أي أن ليس لها جسداً كاملاً، وتمثل فقط بالوجه وستة أجنحة ممتلئة أعين ولكن بدون جسد. حيث أن هناك تفسير تقدمه الكنيسة القبطية، والتي تري أن الذي له وجه الأسد يشفع في وحوش البرية، والذي له وجه كبش يشفع في حيوانات الحقل، والذي له وجه إنسان يشفع في البشر، والذي له وجه نسر يشفع في الطيور. والقديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧- ٤٠٧ م.) يقول في ذلك: (إنهم روحانيون، خلقهم الله وأقامهم وتوجهم بالبهاء والنور، ثم جعلهم يطلبون في جنس البشر وسائر الخليقة من وحوش وبهائم وطيور السماء، لأنهم قريبون منه له المجد أكثر من سائر الروحانيين السمائيين) (SCHAFF, 1953)، ولكن الكنيسة الغربية، فترى من خلال العلامة ايريناؤس من ليون (١١٥- ٢٠٢م)، والقديس جيروم (٣٤٧- ٤٢٠م)، وتبعهم أيضاً القديس هيبوليتس (١٧٠- ٢٣٥م). يرون أن هذه الكائنات الأربعة الغير متجسدة تشير إلى الإنجيليين الأربعة.

(Grooth andVan Moorsel, 1977-1978)

ويتم تفسير هذه الرموزعلي النحو التالي، فالمخلوق الحي الذي يشبه الإنسان، يرمز لمتى الإنجيلي، والذي يشبه الأسد، يرمز لمرقس الإنجيلي، بينما الذي يشبه الثور يرمز للوقا الإنجيلي، وأخيراً الذي يشبه النسر الطائر، يرمز ليوحنا الإنجيلي (Meinardus, 2003).

لذلك نجد في رسومات هذه الكائنات في الكنائس الغربية، أن كل شكل منهم يحمل كتاب يرمز للإنجيل الذي يشير إليه، أو نجد إسم الإنجيلي بجوار الرمز الذي يرمز إليه.

وبالمقارنة مع كنائس ديرية من مناطق متنوعة وفترات زمنية مختلفة، نلاحظ أنه جاء تصوير المخلوقات السمائية في الرسوم الجدارية لأديرة باويط وسقارة والتي يرجع تاريخها للقرن السادس والسابع الميلادي متمثلة في أشكال ملائكة تحيط بالسيد المسيح كبنطوكراتور جالس علي العرش والسيدة العذراء مريم وكذلك جاءت مصاحبة لموضوعات وأحداث الكتاب المقدس (الثلاث فتية في آتون النار، بشارة الملاك غبريال للسيدة العذراء، ميلاد السيد المسيح) أو مع قديسين فارسين.

بينما في رسوم دير الأنبا أنطونيوس زادت استخدام المخلوقات السمائية المصاحبة للقديسين وموضوعات الكتاب المقدس، وسير رواد الرهبنة المصرية، بينما جاء التشابه في ظهور الهيئة التمثيلية لرؤساء الملائكة علي بطون العقود المؤدية لمنطقة الخورس والهيكل كحراس لمدخل الخورس والهيكل، كما هو الحال في أغلب رسوم النوبة.

وتشابهت الرسوم الجدارية لأديرة وادي النطرون من القرون والثامن والعاشر والثالث عشر الميلادي، وخاصة رسوم كنيسة السيدة العذراء مريم بدير السريان، مع جداريات النوبة في الموضوعات المقتبسة من الكتاب المقدس فقط لمشهد إنقاذ الثلاثة فتية العبرانيين من آتون النار، وميلاد السيد المسيح، ولكن لم تحتوي مناظر المخلوقات السمائية بالنوبة علي موضوعات متنوعة أخري. ولكن ركزت رسوم النوبة بالأكثرعلي إظهار أدوار الملائكة كمخلوقات سمائية في الحماية والحراسة للملوك والحكام والأمراء.

النتائج

استوحي الرسام القبطي مناظر المخلوقات السمائية معتمداً علي عدة مصادر:

- المصادر الكتابية (أحداث الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد).
- المصادر الآبائية (وتشمل كتابات أباء الكنيسة الأوائل المتعلقة بالمخلوقات السمائية).
- المصادر الكنسية (وتشمل الكتب التي تستخدم للطقوس والصلوات داخل الكنيسة مثل السنكسار، والدفنار، الصلوات الليتوروجيه).

تميزت المناظر بظهورالملاك الحارس (الذي يقوم بحماية ملك أو أمير أو شخص عادي)، حيث لا تقتصر الكنائس النوبية في تصوير الشخصيات الدينية المقدسة مثل (العذراء – المسيح – الملائكة...الخ)، بل نجد تصاوير للشخصيات السياسية مثل الملوك والحكام وحكام الأقاليم .ويمكن القول بأن هذه الرسوم تعتبر ذات طبيعة مزدوجة بين الدينية و السياسية.

وانفرد ريش أجنحة أغلب ملائكة النوبة بأنه يحمل في معظمه نفس مظهر ريش الطاووس، والذي يتشابه في هيئته باحتوائه علي العيون والذي ربما يربط فيه الفنان بين النص الكتابي الذي وصف المخلوقات الغير متجسدة كما يلي في الآية "مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء." (سفر الرؤيا : ٤).

وجاءت أغلب مناظر الملائكة ورؤساء الملائكة وهي ترتدي التيجان بداية من القرن التاسع، ربما تشّبهاً بالملوك، وصور الفنان حجم الملاك الذي ينقذ الفتية من أتون النار أكبر نسبياً بالمقارنة بمناظرأخري من أديرة السريان بوادي النطرون والأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر، حيث ظهر الملاك المنقذ في جداريات النوبة وهو ينقذ ويحمي الثلاث فتية بيديه.

ومن المناظر النادرة الملاك الفارس علي صهوة جواده، بالإضافة إلي أنه لم تظهر باقي طغمات الملائكة في الفن النوبي المسيحي.

وقد تميز فن الجداريات في النوبة بشكل عام بسمات خاصة (الملابس، الموضوعات) وذلك بسبب الاستعانة بفنانيين من مناطق ذات نفوذ ديني قوي وهذا أدى إلى تأثره بالفنون البيزنطية والسورية والقبطية، وظهرت مناظر الملائكة كمنظر علي هيئة تمثيلية بدون الارتباط بقصة معينة والتي تمثل في أغلبها مناظر رؤساء ملائكة.

بالإضافة إلي أن المناظر جاءت طبقاً لما ورد في السياق الكتابي (أحداث الكتاب المقدس) مثل أحداث من العهد القديم علي سبيل المثال الملاك وهو ينقذ الثلاثة فتية من أتون النار، أو أحداث من العهد الجديد مثل منظر ميلاد السيد المسيح.

واتضح من الدراسة للمناظر أن المخلوقات الأربعة لا تأتي أبداً منفصلة عن منظر السيد المسيح البنطوكراتور (ضابط الكل) (حزقيال١: ٤- ٢٨) الذي يمثل الحضور الإلهي وهو ما يستوجب اجتماع كل عناصر الإجلال والمجد متمثلة في الحضور السمائي "المخلوقات السمائية".

ربما انتشرت مناظر الملائكة (وخاصة رئيس الملائكة ميخائيل) في هذه المناطق البعيدة عن السلطة المركزية والحدودية من أجل الحماية والدفاع ؟ كما هو الحال في حصون الأديرة التي تحمل كنائسها اسم رئيس الملائكة ميخائيل (والذي يحمل لقب رئيس جند الله) الذي سوف يحمي حصن الدير من أي هجمات، كما هو الحال في كنائس الحصن المختلفة في أديرة وادي النطرون مثل دير البراموس والسريان والأنبا بيشوي والأنبا مقار.

ويظهر تأثيرالفن القبطي في ملامح الفن المسيحي النوبي بمشهد السيد المسيح الذي يظهر بكل بهاء وعظمة وليس عارياً علي الصليب أو متألم كما هو التأثير البيزنطي واليوناني.

وتمتلك النوبة مقومات سياحية ولكن للأسف لا يتم الترويج لها سياحياً، شأنها شأن المواقع الأثرية العديدة والمتنوعة في معظم أنحاء مصر، والتي تحتاج إلي خطط تسويقية داخلياً وخارجياً، من خلال مؤسسات الدولة المعنية (وزارة السياحة، هيئة التنشيط السياحي).

وبما أن جداريات النوبة انتشرت بالكنائس والأديرة بأشكال مختلفة وأنماط رسم وموضوعات متنوعة دون وجود دراسة شاملة لهذه المناظر بصفة خاصة تُعتبر مرجعاً للدارسين والمرشدين السياحيين فلذلك يتوجه البحث بأكمله لدراسة هذه الجداريات بتعمق وتخصص ليكون مرجعاً لمعظم جداريات منطقة النوبة فى الكنائس والأديرة المصرية علاوة على ذلك، أن معظم الجداريات النوبية القديمة فى حالة سيئة لذلك فإن توصيف وتسجيل هذه المناظر قد يساعد على حفظ جزء من التراث القومى للأجيال القادمة.

ختاماً.. تعتبر كنائس النوبة من الكنائس الغنية أثرياً وتاريخياً وفنياً لتميزها من الناحية الفنية ، إلا أنها لا تلقي أي ضوءاً سياحياً عليها ويصيبها الإهمال رغم أهميتها البالغة.

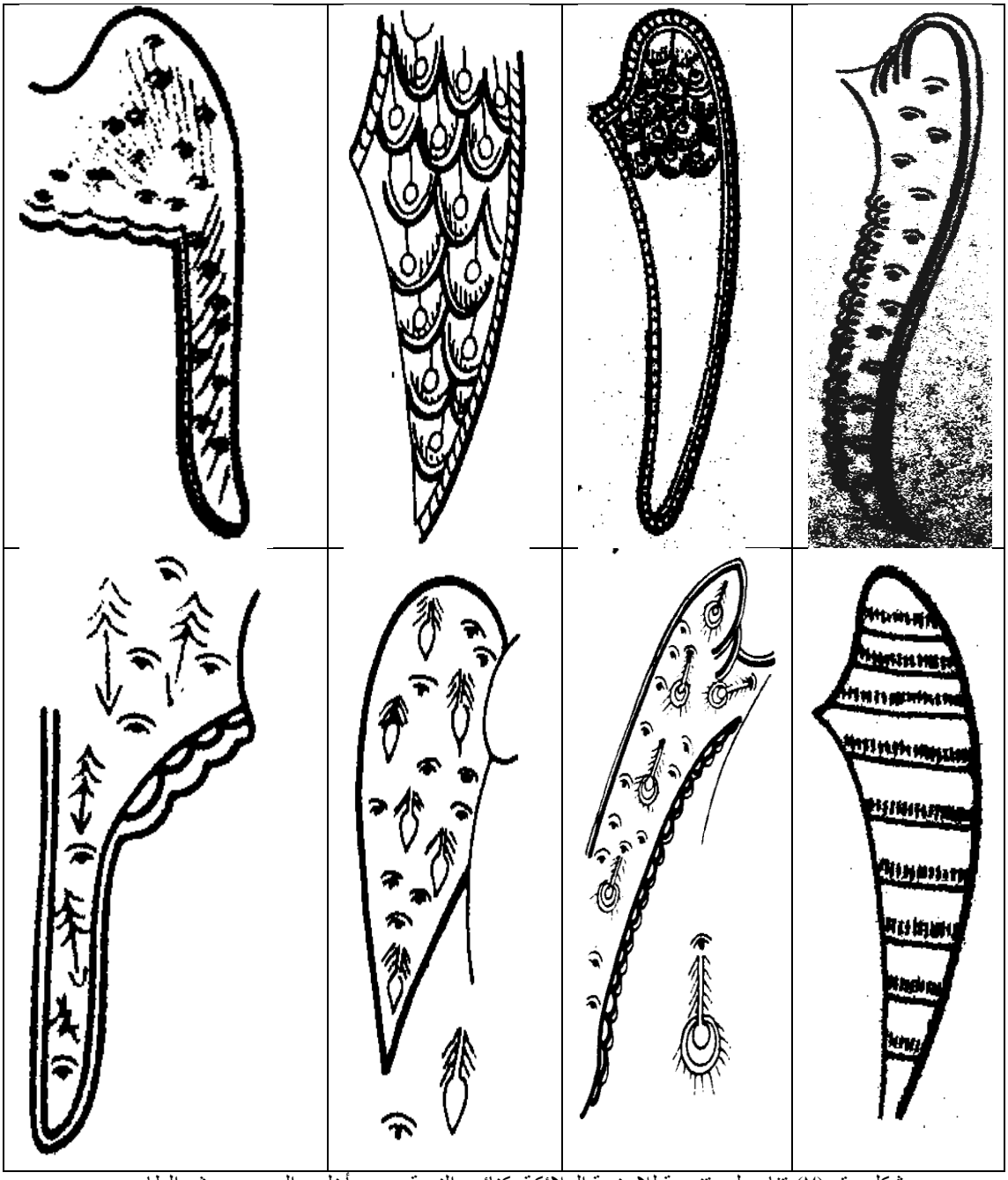

شكل رقم (٧) تفاصيل متنوعة للاجنحة الملائكة بكنائس النوبة يسود بأغلبهم العيون وريش الطاووس

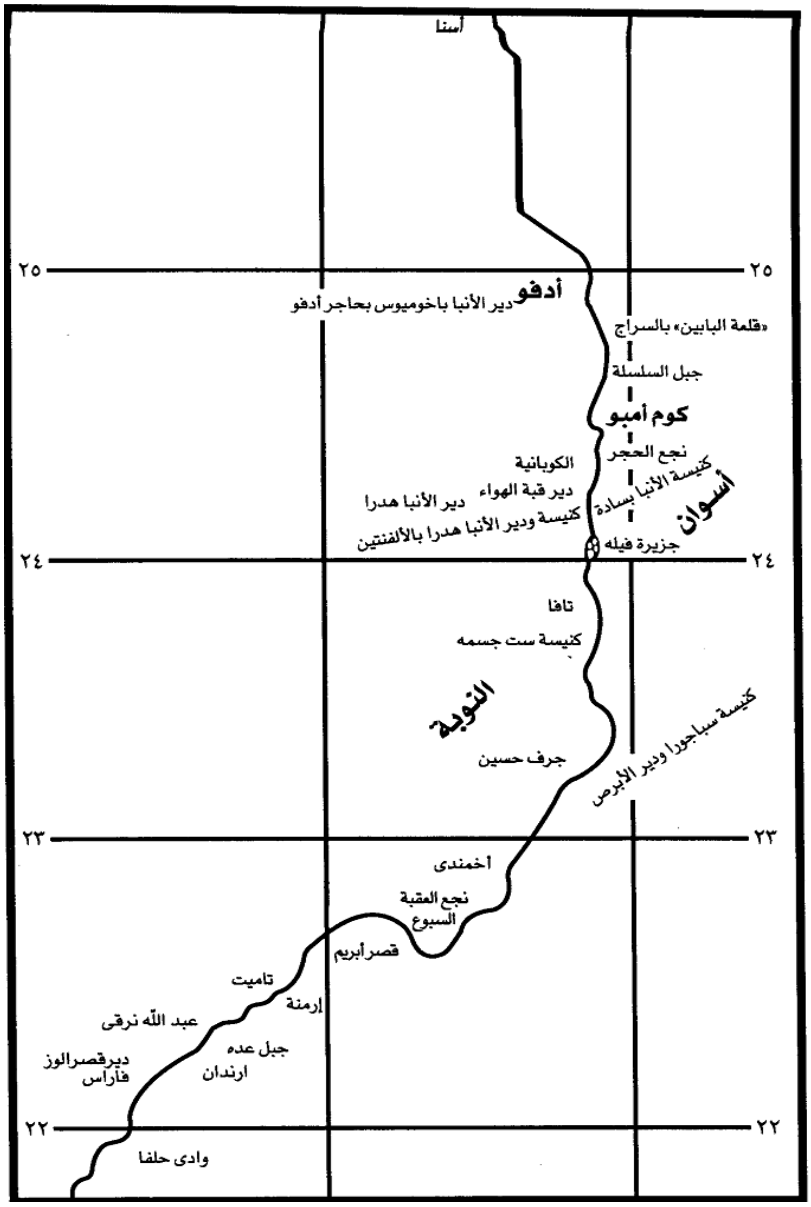

شكل رقم (٨) خريطة لأهم المواقع الاثرية القبطية بمناطق النوبة الواقعة في المنطقة بين جنوب مصر وشمال السودان نقلاً عن: (كامل، ٢٠٠٣)، شكل ١.

قائمة المراجع

متي المسكين (٢٠٠٧م)، تاريخ إسرائيل، طبعة ثالثة، وادي النطرون.

محمد غيطاس (١٩٩٥م)، التصوير في بلاد النوبة، القاهرة.

نبيه كامل، عاطف نجيب (٢٠٠٧م)، تاريخ المسيحية وأثارها في أسوان والنوبة، القاهرة.

Adams, W.Y. (1990, 1992)."Nubian church architecture and Nubian church decoration", Acts Geneva, vol. I, p. 317-326.

Badawy, A. (1949). L'Art Copte: les influences Egyptiennes, *IFAO*, le Caire.

Badawy, A. (1968). Coptic art and Archeaology: The Art of the Christian Egyptians from

the Late Antique to the middle Ages, Cambridge.

Clement, C.E. (1898). Angels in Art, Boston.

Godlewski, W. (2006) Pachoras. The Cathedrals of Aetios, Paulos and Petros. The Architecture, [PAM Monograph Series 1], PCMA, Warsaw Inneme´e, K.C. 1989 Iconic and narrative images in Nubian wall-painting, Nubian Letters 13, 6-10 1995 Observations on the system of Nubian church-decoration, Acts Lille 1994, vol. I, p. 279- 287.

Grooth, M. DE and Van Moorsel, P. (1977 – 1978). "The Lion, the Calf, the Man and the Eagle in Early Christian and Coptic Art", *BAB*, Nos. 52-53, p. 233 - 239.

Guilly, R.E. (1996). Encyclopedia of Angels, New York.

Henri Gauthier, M. (1912). les Temples immergès de la Nubie. Le temple de Ouadi Es-sebouâ, le Caire.

Meinardus, O. F. A. (2003). Coptic Saints and Pilgrimages, Cairo.

Michalowski, K. (1974). Faras Wall Painting in the collection of the National Museum in Warsaw, Warsaw.

Mileham, G. S. (1910). Church in Lower Nubia, Philadelphia.

Miquel, P. et-al. (1993). Deserts Chretiens d'Egypte, Nice.

Rosby, H. (1890). "Michael and Gabriel in Homiletic review XIX ", p. 160 – 162.

Schaff Ph. (ed) (1953). Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church, first series, vol. X, London.

Van Moorsel, P., Jacquet, J., and Schneider, H. (1975). The Central Church of Abdallah Nirqi, Leiden.

Van Moorsel, P. (1989). "Medieval church decoration in Nubia and Upper Egypt compared with Lower Egypt, an iconographical approach", Nubian Letters, p. 12, 14-16.

Villard M. DE. (1935-1957). la nubia Medioevale, vol. 1-4, Cairo.

Weitzman, K. (1970). "Some remarks on the sources of the fresco paintings of the Cathedral of Faras", KuGN, p. 325-346.

Yewdale Adams, W. (1996). Qasr Ibrîm. The late mediaeval period, London.

Abstract

The Iconography of Heavenly Creatures in the wall paintings of the Nubian Churches

The Nubian churches Characterized of various wall paintings such as The Central Church of Abdallah Nirqi, the Cathedral of Faras, temple of Ouadi Es-sebouâ, Abd Al-Qadir church and other archeological Churches, which dates back to the period between the eighth and until the thirteenth century, The Nubian mural art had specific features, due to the Artistic impact of a strong religious areas by Byzantine, Syrian and Coptic features of Art.

Some of these heavenly creatures emerged while they are protecting the rulers of Nubian royal dignitaries and princes, and marked the most angels' feathers that is carries the same appearance of peacock feathers, which is similar in its body features the eyes, that is perhaps the artist connects the biblical text that described the four embodies creatures as follows in the verse "*full of eyes before and behind*." New Testament (vision 4).